مجلة العميد

Journal Homepage: https://alameed.alameedcenter.iq/
ISSN: 2227-0345 (Print) ISSN 2311-9152 (Online)

تجليات شخصيّة الزّهراء عليها السلام في الشعر الأندلُسي:قراءة تحليلية في نماذج من مراثي أهل البيت عليهم السلام

عبد الحسين طاهر محمد [1]

١-جامعة سومر/ كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية، العراق؛

drabdulhusseinalrubaie@gmail.com

دكتوراه في الادب الاندلسي/ أستاذ

تاريخ الاستلام:
١٥/ ١٢/ ٢٠٢٣
تاريخ القبول:
٢٤/ ١/ ٢٠٢٤
تاريخ النشر:
٣١/ ٣/ ٢٠٢٤

الكلمات المفتاحية:
التجلِّيات ، شخصية الزهراء ، الشعر الأندَلُسي.

السنة(١٣)-المجلد (١٣)
العدد (٤٩)
رمضان ١٤٤٥ هـ
آذار ٢٠٢٤م

DOI:
10.55568/amd.v13i49.33-56

ملخص البحث:

يهدفُ البحث إلى معاينة مراثي أهل البيت عليهم السلام في الشعر الأندَلُسي بقصد الوقوف على شخصية السيِّدة فاطمة الزهراء عليها السلام. لذا حاول الباحث أن يطّلِعَ على مراثي أهلِ البيت في الشعر الأندَلُسي ولاسيّما بعد القرن الرابع الهجري، أي بعد رحيل البيت الأموي، إذ كان الأمويون يحظرون ذكر أهل البيت، وبعد رحيلهم ظهرت أوّلُ دولة علوية هي الدولة الحَمُودية التي أسست في قرطبة ومدن أخرى وناصرها الأندلسيون، واستمرت زُهاء خمسين عاماً، فخفّ إليها الشعراء من كُلِّ حَدَبٍ وصوب، يمدحون الزعماء العلويين كعليّ بن حمود والقاسم بن حمود، مُعرِّجين على ذكر أجدادهم من أهل البيت، وكان ذكرُ فاجعة كربلاء وما لَقِيَهُ الإمام الحُسين الشهيد عليه السلام مُنطَلَقاً لهذه المراثي؛ لذا زخرت بالتوجّع لأهل البيت وهجاء غاصبي حقِّهم، وقد استند أصحاب هذه المراثي الى الحُجج المنطقية والعقلية بنص القرآن الكريم الذي طهّرهم، فضلاً عن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن بين هؤلاءِ الشعراء نذكر: ابن درّاج القسطلي، وابن عبدون اليابري، وصفوان بن ادريس التجيبي، وابن أبي الخصال، وابن جابر الأندلسي، ولسان الدين بن الخطيب، وابن الجيّاب الغرناطي، ويوسف الثالث ملك غرناطة، وآخرين يضيقُ الملخص بذكرهم.

وتمَّ ذلك عبر محورين مترابطين: الأول، تجلِّي شخصيتها في ضوء رثاء أهل البيت عامةً، أمّا المحور الثاني، فقد انصبَّ على ذكر شخصيتها عبر رثاء أحد شخصيات أهل البيت كشخصية الإمام علي بن أبي طالب، أو شخصية الإمام الحُسين، وفي هذين المحورين حاول الباحث أن يلتقط هذا التجلِّي في ضوء ما استقرَّ في ذهن الأندلسيين من ملامح لشخصيتها كألقابها وكُناها وأثرها الرسالي، وما قاله أبوها رسولُ الله من أحاديث صحيحة عن مكانتها في الإسلام، وكونها إحدى شخصيات أصحاب الكساء، وهي سيّدة نساء المؤمنين، وبنت سيِّد المرسَلين صلى الله عليه وآله.

CC BY NC

Manifestations of Al-Zahra in Andalusian Poetry: An Analytical Reading on Ahlalbayt Elegies

Abdul Hussein Taher Muhammad [1]

1- Sumer University/ College of Basic Education/ Department of Arabic, Iraq;
drabdulhusseinalrubaie@gmail.com
PhD in Andalusian Literature/ Professor

Received:
15/12/2023
Accepted:
24/1/2024
Published:
31/3/2024

Keywords:
manifestations, the personality of Al-Zahra, Andalusian poetry

Al-Ameed Journal
Year(**13**)-Volume(**13**) Issue (**49**)
Ramadhan 1445 AH.
March 2024 AD
DOI: 10.55568/amd.v13i49.33-56

Abstract:

The research study aims to examine the elegies of Ahlalbayt, peace be upon them, in Andalusian poetry to identify the character of Lady Fatima Al-Zahra, peace be upon her. Therefore, the researcher tried to look at the elegies of Ahlalbayt in Andalusian poetry, especially after the fourth century AH, that is, after the departure of the Umayyad house. The Umayyads forbade mentioning the Ahlalbayt, and after their departure, the first Alawite state appeared, which was the Hamudid state, which was founded in Cordoba and other cities and supported by the Andalusians. It lasted for nearly fifty years, and poets from all over the world came to it, praising the Alawite leaders such as Ali bin Hamoud and Al-Qasim bin Hamoud. The remembrance of their ancestors from Ahlalbayt, the mention of the tragedy of Karbala and the martyrdom of Imam Hussein, peace be upon him, was the starting point for these elegies. So they were full of pain for Ahlalbayt and satirizing the usurpers of their rights. The authors of these elegies relied on logical and rational arguments based on the text of the Holy Quran that purified them. Among these poets it is to mention: Ibn Darraj Al-Qastali, Ibn Abdoun al-Yabri, Safwan ibn Idris al-Tajibi, Ibn Abi al-Khasal, Ibn Jabir al-Andalusi, Lisan al-Din ibn al-Khatib, Ibn al-Jayyab al-Gharnati, and Yusuf III, the king of Granada and to name just a few.

In so doing, there are two interconnected axes: the first was the manifestation of her personality in light of the lamentations of the Ahlalbayt in general. As for the second axis, it focused on mentioning her personality through the lamentation of one of the Ahlalbayt's personalities, such as the personality of Imam Ali bin Abi Talib, or the personality of Imam Hussein. In these two axes, the researcher tried to fathom what the Andalusians kept in their mind about her personality and its features : her titles, nicknames, her missionary influence, and what her father, the Messenger of Allah , said in the authentic hadiths about her position in Islam, and the fact that she is one of the figures of the " Companions of the Cloak" , and she is the queen of the believers women and the daughter of the Master of the Messengers, may His prayers and peace be upon him and his family.

تقديم:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على المُصطفى الأمين، وعلى آلهِ الذين أذهبَ اللهُ عنهم الرِّجسَ وطهَّرَهم تطهيرا، ورضيَ الله عن أصحابِهِ الصالحين الذّين جاهدوا مَعهُ في اللهِ حقَّ جهادِهِ وما بدّلوا تبديلا.

وبعدُ:

لقد حظيت سِيَرُ أهل بيت رسولِ الله ﷺ باهتمام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فعبّر الشعراء عن حبِّ الناس لأهل بيتِ النبوة وصرّحوا بالولاءِ لهم منطلقين من التعبير القرآني الذي رسَّخ مكانتهم في نفوسِ المسلمين، على الرغم مما فعله أعداؤهم من الأمويين والعباسيين من إبعاد الناس عن العِترة الطاهرة وتضليلهم بأساليبَ شتى، لكنَّ آية التطهير وأحاديث رسول الله يُعدّانِ تقويضاً لمزاعمِ أعدائهم على مرِّ الحقب، وَمَن أدلّ من قولِه تبارك وتعالى على عظيم شأنهم؟، إذ قال جَلَّ ذكرُهُ ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾(الأحزاب ٣٣) وقال الرسولُ الأعظمُ مُحَمَّدٌ ﷺ (إني تاركٌ فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضوا بعدي، أحدُهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض)[١].

وفي الأندَلُس الجناح الشرقي للأمة الإسلامية، التي قُدِّر لها أن يحكمها الأمويون في القرون الثلاثة الأولى (من الفتح ٩٢هـ حتى سقوط الحكومة الأموية ٣٩٩هـ)، إذ كان ذكرُ آلِ البيت ﷺ في هذه الحقبة الأموية محظوراً، ولكن بعد رحيل الأمويين وانقراض حكمهم إلى الأبد، إذ تفرَّق نسلُهم ولا أثرَ لهم يُذكر بعد سقوطهم النهائي، وعلى أثرِ رحيل الصمت - إن جاز التعبير -، وظهور الوتر الشيعي الذي تبلور في دولة علوّية هي الدولة الحَمودية التي حكمت في الأندلس في مالقة والجزيرة الخضراء والعاصمة من (٤٠٧هـ حتى ٤٥٠هـ)، إذ وجد محبو آل البيت متنفَّساً للتعبير عن عظيم حبّهم وولائهم للعترة المطهرة، أو في أقل الأحوال للتعبير عن إنصاف آل مُحَمَّدٍ واتباعهم.

ونطالعُ في كتاب دائرة المعارف الإسلامية لمؤلفه الأُستاذ حسن أمين عدداً من الشعراء

١ ابي عيسى، بن سورة، الجامع الصحيح، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق. ابراهيم عطوة، ط٣ (د.م.ن.، ١٩٧٥م).

الأندلسيين الذي عبَّروا عن تشيُّعِهم وولائهم لآل مُحَمَّدِ عَبرَ قصائد خالدة اتخذت من ملحمة كربلاء واستشهاد الإمام الحُسين وآل بيته وأصحابه منطلقاً لها، وفي طليعة هؤلاء الّذين ناصروا الدولة العلوية الحمودية، أو عبّروا عن ولائهم لآل مُحَمّد، ابن درّاج القسطلي (ت٤٢١هـ)، وابن شهيد الأندَلُسي (ت ٤٢٦هـ) وعبادة بن ماء السماء (ت ٤٢١هـ)، وعبد الرحمن الأشبوني (ت ٤٢٨هـ)، وابن شكيل الشريش (ت ٦٠٥هـ)، وأبو بحر صفوان التجيبي (ت ٥٩٨هـ)، وأبو العباس الجراوي (ت٦٠٩هـ)، وعدا هذا نجد أنَّ شعراء ألّفوا كتباً في ولاء أهل البيت على شاكلة الشاعر ابن الأبّار القُضاعي الأندلُسي (ت ٦٥٨هـ) إذ ألّف كتابين شهيرين في استشهاد الحسين عليه السلام هما: (درر السمط في خبر السِّبط)، و (معادن اللّجين في مراثي الحُسين)[٢].

وامتدّ رثاء آل البيت ولاسيّما رثاء الإمام الحُسين عليه السلام في دولة بني الأحمر وتطالعنا النماذج الشعرية في هذا الغرض ومن هؤلاء الشعراء، الشاعر أبو البقاء الرندي (ت ٦٨٤هـ)، والشاعر ابن الجيّاب الغرناطي (ت ٦٨٥هـ) والشاعر الكبير لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، والشاعر ابن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠هـ)، وملك غرناطة يوسف الثالث (ت ٨٢٠هـ)، وغيرهم.

ولمّا كان موضوعنا (تجلّيات شخصية الزهراء في الشعر الأندَلُسي) وبعد تحرّي مراثي أهل البيت في الدولة الأندلسية، وجدَ الباحث أنَّ ملامح شخصية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في هذه المراثي الكثيرة تأتي عبر الرثاء العام لآل البيت عليهم السلام، أو تأتي عبر الاستغراق بوصف ملحمة كربلاء وذكر مظلومية الحُسين بوصفه سبط رسول الله وابن بنته فاطمة بضعة المصطفى، وهو ابن البتول التي يغضب رسول الله لغضبها ويرضى لرضاها، أو يأتي ذكرها والوقوف عند قُدسيتها لكونها من أصحاب الكساء الخمسة، إذ أفاض الشعراء الأندلسيون بذكرهم، وهذه المعاني وغيرها سنبينها - عبر النصوص الشعرية الدالة - التي توجّهت لمخاطبة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ورسمت ملامح شخصيتها الرسالية التي استقرت في الذاكرة

٢ ديوان ابن الأبار القضاعي. تحقيق. عبد السلام الهراس(مقدمة المحقق). ط١ (الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٩م)، ص١٦.

الأندلسية وعبر المُنجَز الشعري الأندلسي الذي استندَ مبدعوه إلى مرجعيتهم الثقافية ولاسيّما الدينية المتمثلة بالتعبير القرآني ونصوص الحديث النبوي الشريف والوقائع التاريخية، بما لا يَدَعُ مجالاً للشك في أحقيّة أهل البيت، وما وقع عليهم من ظُلم مُتَعمَّدٍ من غاصبي حقّهم من الأولين والآخرين.

المبحث الأول

الزهراءُ ﷺ ضمن مراثي أهل البيت عامةً

في هذا المبحث الموجز سنتوجهُ إلى قراءة بعض المراثي التي قِيلت في أهل بيت رسولِ الله عامة، دون أن تخصَّ واحداً منهم، بل بكتهم جميعاً، وأشارت إلى مظلوميتهم من قبل أعدائهم، الّذين لم يَحْفَظوا لهم عهداً ولا إلّاً ولم يراعوا لهم ذمة، وفي سياق هذه المعاني يقف الشاعر عند شخصية بنت مُحَمَّدٍ ﷺ بالإشارة الصريحة لها بمُسميات وكُنًى متعددة تخصُّها.

ومن الجدير ذكره أن الباحث لم يُورد أية مرثية حُسينية أو لشخصية رسالية من آل الرسول ليس فيها ذكرٌ للسيدة الزهراء البتول ﷺ.

ولنبدأ بشعراء القرن الخامس أيّ الّذين رثوا أهل البيت ووقفوا إلى جانب الدولة العلوية الحمودية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وَلْنختر شاعراً كبيراً لم يخلُ ديوانه من رثاء أهل البيت عبر مدائحه لأحفادهم العلويين الذي أسسوا دولة علويّةً في الأَندَلُس وهي الدولة الحمودية.

وهذا الشاعر هو ابن درّاج القُسطلي الذي عُدَّ شاعرَ الدولة العامرية أي دولة الحجابة التي حكمها المنصور بن أبي عامر المعروف بالحاجب المنصور (ت ٣٩٣هـ) وقد كان هذا هو الحاكم الفعلي للبلاد بعد وفاة الخليفة الأموي الحكم المستنصر (ت ٣٦٥هـ)، إذ كان ابنه الخليفة هشام المؤيد صغيراً ولا يقوى على إدارة البلاد، فحجر على الخليفة وحكم الأندلس وبمساعدة أمّ الخليفة الأمير (صبح).

ومما قاله هذا الشاعر في آل البيت عندما أَمِن شرَّ الأمويين وحلّت دولة الحموديين وهم من العلويين الأدارسة الحسنيين في الأندلس، قصيدة مدحية مطوَّلةً أشار فيها إلى معاناةِ أهل

البيت، وما لقوه من مصائبِ على أيدي الأمويين الطُغاة ومن بعدهم جاء العباسيون الظلمة الذي أمعنوا في الإساءة إلى آل البيت واتباعهم وطاردوهم وقتلوا رجالهم وشرّدوهم دونما ذنبٍ اقترفوه، يقول ابن درّاج في قصيدته المطوّلة التي مدح فيها عليّ بن حمود سنة (٤٠٤هـ) ومطلعُها: [من المتقارب]

لَعلّكِ يا شمسُ عندَ الأصيل ... شحيت لشجو الغريبِ الذليلْ
فكوني شفيعي إلى ابن الشفيع ... وكوني رسولي إلى ابن الرسولْ
إلى الهاشميّ إلى الطالبيّ ... إلى الفاطميّ العطوف الوَصُولْ
إلى ابن الوصيّ إلى ابن النبيّ ... إلى ابنِ الذبيحِ إلى ابن الخليل
فأنتمْ هُداةُ حياةٍ وموتْ ... وأنتم أئمة فعلٍ وقيلْ
وساداتُ مَنْ حَلَّ جناتِ عَدْنٍ ... جميعُ شبابِهُمُ والكهولْ
وأنتم خلائفُ دنياً وديـنْ ... بحكم الكتابِ وحكم العقولْ[٣]

وجديرٌ ذكره أنّ أحمد ابن درّاج القُسطلي من الشعراء الكبار في الأندلس حتى إن الثعالبي قرنه بالمتنبي قائلاً: "كان بصقعِ الأندلس كالمتنبي بصقع الشام، وهو من الشعراء الفحول"[٤]. وقالَ الناقد الفذّ أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني في كتابه (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) عن هذه القصيدة: "قصيدة طويلة وهي من الهاشميات الغرّ، لو قَرَعتْ سمع دِعْبلْ بن علي الخُزاعي والكُميت بن زيد الأسدي لأمسكا عن القول، بل لو رآها السّيِّد الحميري وكُثَير - عزّة - لأقاماها بيِّنة على الدعوى"[٥] "وتبدأ هذه القصيدة ببكاءٍ شجيٍّ، بكاء تجهش قلوب الشيعة في كُلّ مكان"[٦].

وعبر محاولتنا قراءة هذه المقطع من القصيدة وتلَمُّسِ الإضاءة النقدية التي يستحقها

٣ القسطلي، ابن دراج. ديوان ابن دراج القسطلي، حقّقَهُ وقدّم له، وعلَّق عليه. محمود علي مكي، ط٢ (الكويت: مؤسسة جائزة سعود البابطين، ٢٠٠٤م)، ١٦٠.

٤ الثعالبي، أبو منصور عبد الله النيسابوري. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. شرح وتحقيق. مفيد محمد قميحة، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م)ج٢.ص١١٩.

٥ الشنتريني ، علي بن بسام. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة. تحقيق. احسان عباس، ط١ (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٧٩م)، ق١،مج١. ٨٩.

٦ الأمين، حسن. دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ط١ (بيروت: دار التعارف، ١٩٩٣م)، ٤/ ٢٤.

النصّ، نجد الشاعر يطالعنا بعاطفته وولائه لآل البيت ﷺ إذ قادته هذه العاطفة إلى هذا النغم الذي بُني على تشكيلة البحر المتقارب ذي الخاصية الإيقاعية التي تُغري الشعراءَ التوّاقين للصور والمشاهد ذات الحركة والسرعة والتعاقب وهذه الطبيعة للمتقارب - كما تدل عليه تسميتُهُ - إذ تتقارب اوتادهُ من أسبابه وأسبابه من اوتاده وهو للعنف والحركة أصح منه للرفق[٧]، هذه الخاصية هي التي ميَّزته في عالم الإيقاع الشعري.

فسرعة التعبير المتمثلة في الانتقال المتلاحق من السبب الخفيف (لن) للحاق بالوتد المجموع (فَعَوْ)، وكأنما يردّدْ المُنشدُ (لن - فعو) (لن - فعو) في حركة تُشبه القفز في الصوت وهكذا تكون دورة المتقارب[٨].

وجدير ذكره أن عناصر الإيقاع غير المقيد مثل التكرار أدت أثرها في مدّ البناء الإيقاعي بالطاقة النغمية المُفضية إلى خدمة المضمون والتأثير بالمتلقي، ومن هذه العناصر التكرار المتحقق بكثافة في هذه الأبيات، إذ كرر الشاعر حرف الجرّ تسع مرات في ثلاثة أبيات، وكرر الضمير المنفصل (انتم) ثلاث مرات في الأبيات الثلاثة الأخرى، ومما يؤكده موروثنا النقدي أنّ ابن رشيق القيرواني يرى في أُسلوب التكرار ملاءمة لبعض الحالات الشعورية التي تتطلبُ الشعور بالعاطفة والتوضيح والتفضيل، لذا استعمل في الرثاء المُفجع، والفراق، والاغتراب، والذكرى، والتشوّق وما إلى ذلك[٩].

ولّما كان الصوتُ مرتبطاً أشدَّ الارتباط بالمعنى، ولاحظنا البناء الايقاعي الخارجي القائم على السرعة والتلاحُق، أمكننا رصد هذا التلاحُق بالانتقال المتلاحق في مضمون الشاعر الذي راحَ يُسرعُ في التوجّه إلى المرثي بوساطة الحرف (إلى) الذي تكرر بهذا التواتر (إلى الهاشمي)، (إلى الطالبيّ)، (إلى الفاطميّ)، (إلى ابن الوصيّ)، (إلى ابن النبيّ)، (إلى ابن الذبيح)، (إلى ابن الخليل) وثمة تلاحق مضموني آخر يمثلُهُ قولُه: (فانتم هداة حياة) (وانتم بتقدير المحذوف هداة موت) و (وانتم أئمة فعل وقيل) و (انتم خلائف دنيا ودين).

٧ خلوصي. صفاء. فن التقطيع الشعري والقافية والقافية، ط٥ (بغداد: منشورات مكتبة المثنى، ١٩٧٧م)، ٨٥.

٨ علوان، علي عباس. تطور الشعر العربي الحديث في العراق - اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج، د.ط. (بغداد: وزارة الاعلام، ١٩٧٥م)، ٢٣٩.

٩ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق. محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢ (القاهرة: د.ن.، ١٩٥٥م)، ٢/ ٧٥-٧٦.

إن هذه المضامين الشمولية التي عبّرت عن التكامُل القيمي والأخلاقي لشخصيات آل البيت يؤشِّر المحمول المعرفي الذي استقرّ في ذهنية الشاعر بما توافر له عبر مرجعياته الزاخرة بالمُعطيات الدينية والتاريخية، ما يؤكد اطلاع الشاعر على ما أحيط به أهل البيت عليهم السلام من الأضواء الكاشفة لارتباطهم بالله سبحانه وتعالى، وصلتهم الوطيدة بعباده، إذ هم الركن الثاني من الثقلين اللذين تركهما رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبعد أن يؤكد الشاعر ارتباط الممدوح النسبي بالأنبياء المرسلين، فهو ابن النبي الاكرم مُحمدٍ صلى الله عليه وآله ويرتفع به من حيث النسب النبوي إلى (ابن الذبيح) وهو إسماعيل صلى الله عليه وآله الذي فداه الله (بذبحٍ عظيم) في إشارة إلى القصة النبوية المقدّسة التي تؤكد طاعة سيدنا إسماعيل عليه السلام لأبيه إبراهيم الذي أرادَ ذبحه تنفيذاً لأمر الله سبحانه وتعالى، والممدوح العلوي كذلك ابن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام.

وعدا هذا فالممدوح علي بن حمّود العلوي (ابن الهاشمي) نسبةً إلى هشام جدّ رسول الله، وهو كذلك (الطالبي) نسبة إلى ابي طالب، وهو (ابن الوصيّ) عليّ بن ابي طالب عليه السلام.

والذي يهمنا في هذا المقطع الشعري هو إشاراته المكثّفة المتمثلة بقوله: (إلى الفاطمي) هو نسبة الممدوح الذي وجه إليه الخطاب، إلى فاطمة الزهراء عليها السلام التي تحدّر منها نسب الممدوح بنتِ مُحَمَّدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وهي التي قال عنها أبوها المصطفى صلى الله عليه وآله: {فاطمةٌ بضعة مني، فَمن أغضبها أغضبني}[١٠].

فالشاعر وهو يُطلق هذا النسب العظيم يؤكّد ارتباط الممدوح علي بن حمود بـ(فاطمة الزهراءِ) جدّة أجدادِه.

والأنموذج الثاني الذي نلتقطُهُ من مراثي الأندلسيين لآل البيت عليهم السلام هو من شعر ابن الحناط ابي عبد الله محمد بن سليمان القُرطبي الضرير المتوفى سنة (٤٢٧هـ)، وهو من الذين تركوا بلدهم الجزيرة الخضراء وتوجهوا ومدحوا مُحَمَّداً المهدي بن القاسم بن حمود وقد ذكره ابن بسام الشنتريني في (ذخيرته) "زعيم زعماء العصر، كان ورئيس من رؤساء النظم والنشر في ذلك الأوان، وحجرة فهم لفحت وجوه الأيام وغمرة علم سالت بأعلام الأنام،

١٠ البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، ط١ (دمشق: دار ابن كثير، ٢٠٠٦م)، ٩١٥.

ومن شعره في علي بن جمود:" [من الكامل]

روضٌ يحاكي الفاطميَّ شمائلاً ... طيب ومزنٌ قد حكاه سماحا

أعليُّ إنْ تعلُ الملوكَ فإنَّهُم ... بِهِمُ جُعِلتَ أغرَها الوضّاحا

لما طلعتَ لها بكلِّ ثنيّةٍ ... أنسيتَها المنصورَ والسفاحا[١١][١٢]

فالإشارة الواضحة إلى نسب الممدوح تومئ إلى الشخصية الرئيسة التي تقرع منها العلويون وانتشروا في مشارق الأرض ومغاربها، والحموديون الذين مدحهم الشاعر ابن الحناط، هم أبناء هذه الشخصية الرسالية العظيمة المنوّه بها في بيته الأول، فالروض العاطر يحاكي أبناء فاطمة، وقصد بها الزهراء البتول، والفاطمي هو الأمير العلوي الذي مدحه الشاعر ابن الحناط الكفيف.

والأنموذج الثالث من هذا النوع من المراثي نختاره من مراثي الشاعر صفوان بن إدريس التجيبي من شعراء القرن السادس الهجري، (٥٦١- ٥٩٨هـ)، وله قصيدة مشهورة في رثاء أهل البيت كان المسلمون، ولاسيّما أتباع أهل البيت يردّدونها، يقول في مطلعها: [من الطويل]

سلامٌ كأزهار الرُّبى يتنسَّمُ ... على منزلٍ منه الهُدى يتعلَّمُ

على مصرعٍ للفاطميين غُيِّبت ... لأوجهِهم فيهِ بدورٌ وأنجمُ

على مشهدٍ لو كُنتَ حاضرَ أهلِهِ ... لعاينت أعضاء النبيِّ تُقسَّمُ

١١ ابن بسام، ابو الحسن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق. احسان عباس، د.ط. (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٩م)، ١/ ١/ ٣٩.

١٢ مكي، محمود علي. التشيع في الأندلس، د.ط. (د.م.ن.، د.ت.)، ٤٠.

وبعد هذا الوصف المؤثر للمشاهد المفجعة وتخيّل حضور شخصية الرسول الأعظم ﷺ ومشاهدته هذه الفجائع يوم عاشوراء، وما حلَّ بآل بيته على يد الطغاة الأمويين، بعد هذا ينتقل الشاعر متخيِّلاً مجيء فاطمة الزهراء عليها السلام وحضورها هذه الملحمة، قائلاً:

... وأقبلتِ الزهراءُ قُدِّسَ تُربُها تنادي أباها والمدامعُ تُسحَمُ

وهذا البيت رسمٌ بالكلمات لشخصية الزهراء في شعر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي، إذ كثّف إشاراته إلى (الزهراء) عليها السلام متخيّلاً حضورها يوم عاشوراء، وهي تشهدُ مصرع ولدها الحُسين وأبنائِهِ وأصحابه على يد أعداء آل بيت محمّد، يزيد وجلاوزته، فما عساها أن تقول؟ وقد اكتفى الشاعر بالإخبار عن إقبالها وهي تنادي أباها النبيَّ مُحَمَّداً ﷺ ثم استأنف الشاعر الموالي المفجوع ذكرَ الفواجع التي حصلت لآل البيت من قتل الحسن مسموماً واستشهاد الحسينِ وذبحهِ وإرسال رأسه الشريف إلى يزيد بن معاوية الذي أخذ يضرب ثنايا أبي عبد الله بقضيب كان عنده، وبعد هذه التفاصيل المؤلمة، يهجو الشاعر بني أمية لأفعالهم الشنيعة التي ستوردهم نار جهنم قائلاً:

هُم القومُ أمّا سعيُهم فمخيَّبُ مُضاعٌ وأمّا دارُهم فَجَهَنَّمُ

ويستوقف الباحث توالي شبه الجملة الجار والمجرور، إذ كان لهذا التكرار مغزًى دلالي في تأكيد معانيه المكوّنة بكائية فتتوالى عباراته على هذه الشاكلة (على منزل...)، و (على مصرع...)، و (على مشهد...).

وحاصل ما قدَّمنا لهذا الشاهد أن تجلِّياً واضحاً لشخصيّة الزّهراء عليها السلام ضمن المشهد الحسيني المُفجع وتخيّل حضور شخصية رسول الله ﷺ، وشيء آخر نلمسُه من القصيدة أنَّ الشاعر الأندلسي قد أدرك ما حصل لأهل بيت رسول الله من ظلامات تجاوزت العداء والتشريد، إذ امتدت إلى القتل والسبي، لذا أدركنا إحاطة الشاعر بالتفاصيل الدقيقة لفاجعة أهل البيت ومنهم الزهراء ابنة رسول الله زوج ابن عمّه علي بن ابي طالب (صلوات الله عليهم أجمعين).

والأنموذج الرابع نطالعُهُ في شعر الأديب الكبير ابن أبي الخصال (ت ٥٤٠هـ)، إذ قال في نونية له في رثاء الإمام الشهيد الحسين وآل البيت: [من البسيط]

عرّجْ على الطّف إذ فاتتك مكرمةٌ واذرِ الدموع بها سَحّاً وهتّانا

وبعد ذلك قال:

لله عين بكت أبناء فاطمةٍ ترى البكاءَ لهم تقوًى وإيمانا

آليت بالله لا أنسى مصائبهم حتى أضمِّن أطباقاً واكفانا[١٣]

فابن أبي الخصال قد خصّ من رثاهم بأنّهم أبناء فاطمة الزهراء بنت مُحَمّد ﷺ وهذا تجلٍّ واضح لشخصيتها في شعر هذا الأديب الأندلسي المعروف بنثرهِ المميِّز ولاسيّما الرسائل وبشعره الذي تضمن مراثيَ في أهل البيت (عليهم الصلاة السلام).

والأنموذج الخامس نقتبسُهُ من مراثي الشاعر الأندلسي ابن شكيل الشريشي (ت ٦٠٥هـ) من شعراء الدولة الموحدية وقد تأكد لدينا تأثره بالشاعر صفوان التجيبي، بيد أنه تميّز بشخصية شعرية واضحة المعالم على الرغم أيضاً من تسرب الأثر المشرقي إلى شعره عامة[١٤]، ومما قاله: [من الكامل]

إنْ يرفعوا رأسَ الحُسين فقبلَهُ رفعوا لواذاً من أبيه

إيْها حديثاً عن فؤادي إنّه ذكر الرسولَ وآله فتشوّقا

مالي طربتُ بذكرهم فكأنّني عاقرت من ذكر الأحبّة قَرْقَفَا

أقمْ الصلاةَ على النبيّ فإنّها تذرُ الذنوبَ الشّمّ قاعاً صَفْصَفَا

صلّى الإلهُ على النبيّ وآلِهِ مَنْ ضمَّ خمستهم كساء قد صَفَا[١٥][١٦]

١٣ مراثي الإمام الحسين بن علي في العُدوتين المغربية والأندلسية جمع وتحقيق.صفاء عبد الله برهان الغرباوي. د.ط. (د.م.: ديوان الوقف الشيعي، ٢٠١٧م). ٩٧.

١٤ مراثي الإمام الحسين بن علي في العُدوتين المغربية والأندلسية. ٥٤.

١٥ مراثي الإمام الحسين في العُدوتين، ٩١.

١٦ قارة، حياة. أبو العباس أحمد بن شكيل الأندلسي شاعر شريش، ط١ (أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي، ١٩٩٨م)، ٦٥-٦٨.

فالشاعر بعد أن ذكر الحادثة الأليمة التي فعلها يزيد الذي أمر أعوانه البغاة بقتل الحُسين عليه السلام وآله وأصحابه، وأمر برفع رأسه الشريف وإحضاره إلى قصره مع السبايا، يقارن الشاعر بين هذا المشهد ومشهد حمل القرآن في معركة الصفين من قبل عمرو بن العاص الذي خدع أبا موسى الاشعري بعد رفع المصاحف، وعند حملهم القرآن بقولهم هذا كتاب الله بيننا وبينكم قال أمير المؤمنين: كلمة حقّ أُريدَ بها الباطل.

في البيت الخامس من الأبيات المذكورة آنفاً ذكر الشاعر أصحاب الكساء الخمسة (صلوات الله وسلامه عليهم) والزهراء البتول عليها السلام من ضمنهم، والشاعر هنا يشير إلى حديث الكساء المروي عن السيدة أم سلمة: "أنّ النبي صلى الله عليه وآله جلّل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهلُ بيتي وخاصتي اذهِبْ عنهم الرّجسَ وطهّرهم تطهيرا، فقالت أم سلمة: وانا منهم يا رسول الله؟ قال: إنّك على خير"[١٧].

وعدا هذه المراثي الحُسينية العمودية فثمة ما يُعرف بالمُخمسات، والتخميس شَكْلٌ شعري معروف، وقد امتدّ هذا الشكل الشعري إلى مراثي أهل البيت في الشعر الأندَلُسي، وَلْنختَرْ مخمّسةً شهيرة نظمها ابن حبيش اللخمي سمّاها (العقيلة الحالية والوسيلة العالية) على قصيدة (معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب) التي نظمها ابن أبي الخصال الشقوري (ت ٥٤٠هـ) المنوّه به آنفاً في الأنموذج الرابع من هذا المبحث وهي قصيدة دالية جيدة السبك ومطلعها:

بطيبةَ آثار لُحَجٍّ وتُقَصَدُ ودار بها لله نورٌ مُخَلَّدُ

ومهبط جبريلٍ بوصيّ وحكمةٍ يُبيّنها للعالمين مُحَمَّدُ[١٨]

ومخمسة ابن حُبيش اللخمي عليها من الطويل يبدأها قائلاً:

١٧ ابي عيسى، الجامع الصحيح، سنن الترمذي، ٥/ ٦٩٩.
١٨ الغرباوي، مراثي الإمام الحسين بن علي في العُدوتين المغربية والأندلسية. ١٠٣.

أفـقْ عـن سُـعـدى فـما الـشـيـبُ مُـسْـعِـدُ وقــرِّب مـطـايـا لـلـخـطـايـا تُـبـعْـدُ

وَحُــثَّ ركـابـاً فـوقـهـا الـركـبُ ينشدُ بـطـيـبـة آثــار تُحَــجّ وتُـقـصـدُ

ودارٌ بها لله نورٌ مُخَلَّدُ[٢٠١٩]

وبعـد هـذا المطلـع الـذي أتينـا بـه ضرورةً للإحاطـة بهيـكل المخمسـة الحسـينية، ننتقـل إلى إشـارات الشـاعر المتعـددة إلى شـخصية الزهـراء ﷺ عـبر انتقالاتـه ضمـن مخمسـته المطوّلة والإشـارة الأولى إلى الزهـراء تتمثـل بقولـه:

تحـفـيـهِ بـالأصـحـاب أعــلى لهـم يـدا وأصــهــاره الـصـدّيـق تمّـم مـقـصـدا

لِألـفـتـهـم دنـيـا وأخــرى ومـلـحـدا ومـنـى عـلـيٍّ والهُــدى يـألـف الهـدى

بفــاطـمة نـورٌ بنـورٍ يُقــيَّدُ

فقـد أشـار إليهـا الشـاعر في تجلٍّ واضـح مـرَّ ذكـره، إذ إنّ فاطمـة زُفّـت لعـليّ ﷺ وقـد أُمـر أبوهـا ﷺ أن يـزوّج النـور مـن النـور، وهـذا أعظـم تجلٍّ في شـخصيتها أحـاط بـه الشـاعر، لأن الآمـر بهـذا الـزواج المقـدّس هـو الله تبـارك وتعـالى، إذ إنّ مُحَمّـداً ﷺ أمـر بـأن يـزوج النـور مـن النـور.

وثمةَ تجلٍّ آخر أشار إليه ابن حبيش يمثله هذا المقطع الشعري:

صَـحـاب الهـدى قـد ربـع بـالـبين رَوْعُـهـا تـفـيـضُ مـآقـيـهـا وتـذكـي دمـوعُـهـا

وأجـفــانُ أهــل الـبـيـت طــار هـجـوعُـهـا وأمّ أبـيـهـا مـسـبـلات دمـوعُـهـا

كما أنحل من سلك فريدٍ مُبدَّدِ

١٩ الغرباوي، ٥٤-١٣١.

٢٠ التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق. سعيد احمد؛ عراب و آخرين، د.ط. (المغرب: مطبعة المحمدية، ١٩٨٠م)، ٥/ ٢٦٧-٢٨٤.

فالشاعر ابن حبيش قد خصَّ السيدة الزهراء بهذه الكُنية العظيمة (أمُّ أبيها) وهي الكُنية التي يُسرُّ الرسولُ ﷺ بذكرها.

وينتقل الشاعر بمخمسته المطوَّلة إلى ذكرٍ آخَر لها يمثّلُ تجلِّياً آخر لشخصيتها وإحاطةً من الشاعر بأثرِها الرسالي، ومكانتها عند الله تبارك وتعالى، وعند رسولِه الكريم، يقول الشاعر في هذا الموضع:

لسيِّدة النسوان لم أُلفَ مُشبهاً قَلَتْ* عيشها بعدَ النبيّ لحبّها

بتولٌ أبت خِدراً سوى قعر تربها فراراً عن الدنيا إلى قربِ ربّها

وشَحاً عليها من حياة تُنَكَّدُ

فثمة إشارتان حاسمتان في هذا المطلع، أو لنقُلْ تجلّيان، الأول إنّها (سيّدة النسوان) وهنا يتكئ الشاعر على حديث لرسول الله ﷺ روته عائشة، أنّه قال لفاطمة ﷺ في مرضه الذي توفي فيه (يا فاطمة ألا تَرْضَينَ أن تكوني سيدةَ نساء الأمّة وسيدة نساء المؤمنين)[٢١] ويُلحظ في المقطع تجلٍّ آخر هو قوله: (بتولَ...) وهو من اسمائها ﷺ فهي المتبتلّة المنقطعة للعبادة، الزاهدة والراغبة عن الدنيا.

ويمضي الشاعر ابن حُبيش في مخمَّسته الرصينة للقصيدة الدالية لابن أبي الخصال وفي كِلِّ انتقالة يقف عند ظلامات الزهراء ﷺ منوِّهاً بدقائق أحداث التاريخ التي عبرت عن مشاهدات واقعية حصلت لأهل البيت بعد رحيل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فَلْنتأملْ هذا المقطع الذي جاء تالياً للمقطع السابق لنقفَ على ما حدث للزهراء ﷺ من محِن وخطوب، يقول:

وآلَمها تبديل بشرى بغمِّها وحربُ بنى حرب لها بعد سِلْمِها

وإفشاء قومٍ إحنةٍ بعد كتمها وغصَّت على قرب بثكلّ ابن عمّها

وفقد شهيدٍ حَزنُهُ ليس يَفْقِدِ[٢٢] **

٢١ النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم. المستدرك على الصحيحين، د.ط. (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨م)، ٣/ ١٥٦.

٢٢ الغرباوي، مراثي الإمام الحسين بن علي في العُدوتين المغربية والأندلسية، ١٤٠.

* قَلَت: كَرِهت.

** وقد علّق محقق المراثي الحسينية قائلاً: أخذ رسول الله بيد أمير المؤمنين في سكك المدينة وأتيا سبع حدائق وفي كل مرة يقول ما أحسنها! ويقول له لك في الجنة أحسن منها. ثم اعتنقه واجهش باكياً فسأله: ما يبكيك يا رسول الله؟ فأجابه قائلاً: ضغائن في صدور اقوام لا يبدونها لك الّا من بعدي. قال: قلت يا رسول الله في سلامة من ديني قال في سلامة من دينك.

يُدلنا هذا المقطعُ على ثقافة الشاعر التاريخية، وسعة إطلاعه على التاريخ الإسلامي، وما دار من مجريات الأحداث بعد رحيل رسول الله ﷺ وملابسات ما جرى في السقيفة وانشغال علي بن ابي طالب ﷺ بتجهيز جنازة الرسول ﷺ ودفنه، ثم يشير إلى عداء بني حرب، وهم بنو أمية، لآل رسول الله، والحديث المشار إليه وما سرّ به المصطفى ﷺ لوصيّه كان مما استقر في ذهن الشاعر فصاغه في مخمسته بهذا الخطاب الشعري الموحي بعرض ظلامتها ﷺ، هو تجلٍّ لشخصيتها يقوم على التوثيق الموضوعي الدقيق عبر فنّ الشعر.

وفي الشطر الخامس من هذه المخمسة إشارة واضحة إلى الإمام الشهيد المُحسن الذي أُسقط جنيناً وفي هذا الموضوع جَدَلٌ كبير، ليستْ بنا حاجة إلى الوقوف عند تفصيلاتِه.

المبحث الثاني

تجلّي الزهراء في المراثي التي ذكرت مرثياً واحداً من أهل البيت وجاء ذكر السيدة الزهراء مقروناً بها الأُنموذج الأول ما وردَ في ديوان الشاعر ابن جابر الأندلسي - محمّد بن أحمد بن علي الضرير (٦٩٨ - ٧٨٠هـ)، إذ نظَّم هذا الشاعر قصيدة في فضائل أمير المؤمنين، وقد أشارَ إلى ذكر الزهراء ﷺ في تضاعيف القصيدة يقول الشاعر: [من الطويل]

وإنّ عَلِيّاً كانَ سيفَ رسولِهِ ... وصباحَهَ* السامي لمجدٍ مُشيَّدِ

وصهر النبي المجتبى وابن عمَّه ... أبا الحسنين المحتوي كُلَّ سؤددِ

وخير نساء الجنة الغزّ زوجه[٢٣] ** ... وحسبك هذا سؤدداً لمُسوَّدِ

وَزَوَّجَهُ رب السما من سمائه ... ناهيك تزويجاً من العرش قد بُدي[٢٤] ***

---

٢٣ القرطبي، ابي الله عبد محمد بن احمد بن ابي بكر. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، د.ط. (د.م.: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م)، ٤/ ٨٣.

٢٤ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، د.ط. (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.). ٣٥٥/ ٧.

* كذا في الأصل وصوابه: ومصباحه، ليستقيم المعنى والوزن.

**هي السيدة فاطمة الزهراء ﷺ تزوجها عام ٣ للهجرة، وهي خير نساء الجنة. (تفسير القرطبي: ٤/ ٨٣).

*** قال ﷺ: "... والذي بعثني بالحقّ ما تكلمت فيه، أي في زواج علي من فاطمة ﷺ حتى أذن الله فيه من السموات، فقالت فاطمة: رضيت بما رضي به الله ورسوله". البداية والنهاية: ٧/ ٣٥٥.

ويمضي الشاعر في هذه المرثية العلويَّة الجيدة السبك مشيراً إلى:

فباتا وحلْي الزهدِ خيرُ حُلاهما وقد آثرا بالزهد من جاء يجتدي

فأثمرت الجنات من حُلَلٍ ومن حُلى لهما رعياً لذاك الزهدِ

وهكذا يمضي الشاعر في تعداد فضائل أمير المؤمنين ويذكر إشارة النبي ﷺ إلى أنَّ علياً ﷺ كان باباً لمدينة العلم، وذكر بطولاته وإعطاء الرَّسول الراية له، ثم نلمحُ ذكراً ثانياً أو تجلِّياً ثانياً من تجلِّيات شخصية الزهراء إذ يقول ابن جابر عن أمير المؤمنين ذاكراً الزهراء ذكراً عابراً.

كان من الصبيانِ أول سابقٍ إلى الدين لم يُسبق لطاعة مُرشدِ

وجاء رسول الله مسترضياً له وكان عن الزهراء كالمتشرِّدِ[٢٥]

وغنيّ عن البيان أن الباحث لم يُورد أيّ نصّ رثائي خلا من ذكر السيدة الزهراء ﷺ، إذ إنَّ عشرات النصوص عالجت مأساة الطف واستغرقت في هجاء الأمويين الطغاة لاسيّما يزيد وقادة جيشه ومنفذي أوامره العدوانية في محاربة عترة مُحَمّد وأتباعهم، فضلاً عن انّ الباحث استند إلى انتقاء النصوص التي جرى فيها تجلّ واضح لفاطمة الزهراء ﷺ.

وننتقل إلى أُنموذج ثانٍ لهذا النوع من المراثي، أي المراثي المخصصة لرثاء أحد الأئمة وجرى فيه تذكّر السيدة فاطمة الزهراء، وليكن أُنموذجنا من ديوان الشاعر ابن الجيّاب الغرناطي (ت ٦٨٥هـ)، والأنموذج تمثله قصيدته المرقمة (٧٥) وقد عنونها محقق الديوان بما نصُّه: "وقال يمدَحُ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ: [من الكامل] قال في مطلعها[٢٦]" [من الكامل]

٢٥ الهيب، احمد فوزي. شعر ابن جابر الاندلسي، محمّد بن أحمد بن علي الضرير، ط١ (دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ٤٩ وما بعدها.

٢٦ عيسى، فوزي. ديوان ابن الجياب الغرناطي، ط١ (القاهرة: مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٦م)، ١٩٧-٢٠٥.

من أجلّ آلِ عَلِيٍّ الأعلى الذي ... جلَّت مناقبُ مجدِه أنْ تُحصرِا
بدرٌ بدا في خيرِ آفاق العُلا ... من هاشمٍ أزكى البريّة عِنصرا
لمّا رأى شمسَ الرّسالة والهُدى ... قد أشرقت قبلَ الضياء فابدرا
سبقَ الأنامَ مصدِّقاً بالمصطفى ... وَمُصَلِّيا ومهلِّلاً ومُكبِّرًا
ومحلّهُ منه كهارون الرّضا[٢٧] * ... من صنوه [فغدا] أخاً مستوزَرا
وكفاهُ أن نطقَ الكتابَ بفضلِه ... فغدا الثناءُ عليه فيه مُسطَّرا

ثم يصلُ الشاعرُ إلى ما يشمل السيدة فاطمةَ الزهراء قائلاً:

أحدُ الشخوص الخمسة الغُرّ الأُلى ... لَهُمُ من المجدِ [المشيَّدِ] والذرا
فهم الّذين بحبِّهم يلى الرِّضا ... وبحبِّهم نرجو النعيمَ الأكبرا
لولاهم ما أنجاب ليلُ ضلالةٍ ... ولما بدا صبحُ الهدايةِ مُبْصِرا[٢٨] **

فالشاعر - ابن الجيّاب الغرناطي - قاده سياق القصيدة المخصّصة لمدح أمير المؤمنين - عَلِيّ بن ابي طالب وتعداد بعض فضائله - وما أكثرَها، قاده هذا السياقُ إلى ذكرِ الخمسةِ أصحاب الكساءِ بوصف عَلِيٍّ ﷺ هو أحدُهم (أحدُ الشخوص الخمسة الغُرّ الأُلى... البيت) ولمّا كانت السيدة الزّهراء أحد أركان هذه الشخوص، لذا، فهو تجلٍّ لها وأي تجلٍّ أن يكون هؤلاء الخمسة - ومنهم الزهراء - قد حظوا بمنزلة إلهية ما بعدها مَنزلةٍ، وقد أفاضتِ الأحاديث النبوية في بيان هذه المكانة العظيمة.

---

٢٧ صحيح الترمذي (بيروت: طبعة دار الكتاب العربي، د.ت.)، ٥/ ٦٤٠-٦٤١، حديث ٣٧٣٠ -٣٧٣١.
٢٨ الشيرازي، السيد محمد الحسيني. من فقه الزهراء، ط١ (د.م.: مطبعة شريعة، ١٤٢٨هـ)، ١/ ٥٠.
* يشير الى حديث رسول الله ﷺ عندما خاطب عليّا قائلاً له: (انت مني بمنزلة هارون من موسى الّا أنه لا بني بعدي). صحيح الترمذي: ٥/ ٦٤٠-٦٤١، حديث ٣٧٣٠ -٣٧٣١.
** هنا الشاعر يشير إلى الحديث القدسي: "ما خَلَقتُ سَماءً مَبنِيَّةً وَلا أرضاً مَدحِيَّةً وَلا قَمَراً مُنِيراً وَلا شَمساً مُضِيئَةً وَلا فَلَكاً يَدُورُ وَلا بَحراً يَجرِي وَلا فُلكاً يَسرِي إلاّ فِي مَحَبَّةِ هؤُلاءِ الخَمسَةِ" من فقه الزهراء، الإمام السيّد محمد الحُسيني الشيرازي: ١/ ٥٠.

وفي القصيدة نفسِها تجلٍّ آخر يمثله قوله:

بيت الفواطِمِ من قريشٍ رتبةً شادتْ به فوق الكواكب مَنظَرا
فاختصَّ بالزَّهراء فاطمةِ الهُدى أزكى نساء العالمين وأطْهَرا
هي بنتُ خيرِ المُرسَلين وحَسبُنا مولَى تضمَّن كُلَّ مَدْحٍ سُطِّرا
ولأمِّه الغَرّاء فاطمة الرّضا شَرَفٌ عظيمٌ القَدْرِ مشدودُ العُرا
سلكت سبيلَ نجاتِها لَّما شَرَتْ كُفْراً بإيمانٍ ونِعْمَ المُشترى

ويحسبُ الباحث أنَّ هذا المقطعُ يُعَدُّ أكبر تجلٍّ لشخصية الزَّهراء (سلام الله عليها)، إذ أحاط الشاعرُ ابن الجيّاب الغَرناطي بمكانتها الرسالية وألقابها (فاطمة الزهراء، فاطمة الهدى، أزكى نساء العالمين واطهرا) فهي ازكى نساء العالمين تقابلاً مع سيدة نساء العالمين الذي أكده رسول الله ﷺ أو (سيدة النسوان) الذي مرّ ذكره في هذا البحث، بل هي أطهر نساء العالمين، وفوق ذلك فقد سمّاها الشاعر (فاطمة الهُدى) وما أعظمَ هذا التركيب! في ركنيه المضاف والمضاف إليه!

وسمّاها الشاعر (الغرّاء) و (فاطمة الرِّضا) ولها من الشرف العظيم ما شُدّت عراه شدّاً لا انفصامَ لها.

وعدا هذا فهي الوحيدة التي باعت الكفر بالإيمان سلوكاً لسبيل النجاة، فما أعظم ما شرته! ولذا قال:

سلكت سبيلَ نجاتِها لَّما شَرَتْ كُفْراً بإيمانٍ ونِعْمَ المُشترى

و(شَرَتْ) هنا: باعت، ولعَّل الشاعر يستحضر التعبير القرآني في قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ**﴾ (البقرة ٢٠٧) والتي نزلت بحقّ عَلِيّ بن ابي طالب عليه السلام باتفاق المفسرين.

وبَعد هذا كُلهِ أردت لهذه الدراسة الموجزة والمتواضعة أن تكون مشيرةً إشارة ولو قليلة إلى تجليات الزهراء في شعر الأندلسيين وأن تحظى بقبول متلقيها ويحضرني في هذا المقام قول الأديب

الكبير ابن بسام الشنتريني المتوفى (٥٤٢هـ) بعد تأليفه كتابه القيم (الذخيرة) إذ قال: "ولكني بما أقدمت عليه، وتصديت له، كالنسيم دلّ على الصبح، وكالسهم ناب عن الرمح، ولا أقولُ إنّي أغربتُ ولكنّي ربما بيّنت وأعربتُ، ولا أدّعي أنّي اخترعتُ، ولكنّي لعلّي قد أحسنتُ حيث اتبعتُ، واتقنتُ ما جمعتُ وتألفت عنن الشارد، وأغنيت عن الغائب بالشاهد"[٢٩].

خاتمة البحث ونتائجهُ

بعد أن عاشَ الباحث أياماً مع مراثي آل البيت ﷺ في الشعر الأندَلُسي ملتقطاً منها ما برّز شخصية الزَّهراء الرّسالية، بعد كُلّ هذا كان لابدَّ من الوقوف على أهم النتائج عبر هذه الرحلة المُحبَّبة والممتعة معاً:

١-تشكلت مراثي آل البيت في الشعر الأندَلُسي عبر نمطين:

أ-المراثي التي كان موضوعها آل البيت عامةً، إذ رثي الشاعر آل بيت النبوة ﷺ وقد جرى ذكر السيّدة الزهراء في سياق من رثاهم الشعراء مثل الإمام علي بن ابي طالب والحسين بن علي ﷺ ويؤكدون صلتهم برسول الله وأحقيتهم بالدفاع عن دين الله وقد لوحظ أنَّ اكثر الشعراء ينطلقون من ملحمة كربلاء ويستغرقون في وصف المشاهد المُفجعة من قتل الإمام الحسين، وابنائه، وأصحابه، وهجاء قتلتهم الأشرار من بني أمية وأعوانهم، كذلك يتطرق الشعراء لذكر فاطمة ﷺ في سياق الحديث عن ظلامية ولدها الحُسين الشهيد وابنائه، وكان تجلي شخصيتها عَبرَ ذكر ألقابها وكُناها، فهي سيدة النساء، والزهراء البتول، وأمّ ابيها، وأم الحسنين وما إلى ذلك.

ب-المحور الثاني تمثّلُهُ المراثي التي خَصّصها الشعراءُ لشخصية من شخصيات أهلِ البيت وعبره يجري الحديث عن شخصية الزهراء، ومن تلك المراثي أو المدائح ما خُصص لمدح أمير المؤمنين أو رثائه، أو الإمام الحسين ﷺ.

٢-لوحظ في المراثي الحُسينية في الشعر الأندلسي أنّها قد تكون عمودية أي قصائد اعتيادية، او قد تأتي المراثي مُخمّسةً لمراثٍ أخرى، أو قد تأتي مُذيلة.

٣-مزج كثير من أصحاب المراثي الأندلسية مدح الرسول الأعظم ﷺ أو رثاءه بالمراثي

٢٩ شهاب الدين، أحمد بن إدريس القرافي. الذخيرة، ط١ (د.م.: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م)، ١/ ١/ ٢٣.

الحسينية، كأن يجعلوا مديحه أو رثاءه ﷺ منطلقاً أو مقدّمة لرثاء آل بيته الكرام عليهم السلام.

٤-لوحظ عمق مرجعية شعراء المراثي وإحاطتهم بالأحداث التاريخية كبيرها وصغيرها فضلاً عن عمق مرجعيتهم الدينية، وذلك عبر التفاعُل النصّي مع نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وتوظيفها توظيفاً فنّياً عمَّقَ مضامين المراثي ورصَّن أبنيتها وزادها قرباً من المتلقي.

المصادر:

القرآن الكريم

ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي. ديوان ابن الأبار القضاعي. تحقيق. عبد السلام الهراس. ط١. الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٩م.

ابن بسام، ابو الحسن علي. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق. احسان عباس. د.ط. بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٩م.

الامين، حسن. دائرة المعارف الإسلامية الشيعية. ط١. بيروت: دار التعارف، ١٩٩٣م.

البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. ط١. دمشق: دار ابن كثير، ٢٠٠٦م.

التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض. تحقيق. سعيد احمد؛ عراب وآخرين. د.ط. المغرب: مطبعة المحمدية، ١٩٨٠م.

الثعالبي، أبو منصور عبد الله النيسابوري. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. شرح وتحقيق. مفيد محمد قميحة. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.

الدمشقي، ابن كثير. البداية والنهاية. د.ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

الشيرازي، السيد محمد الحسيني. من فقه الزهراء. ط١. د.م.: مطبعة شريعة، ١٤٢٨هـ.

مراثي الإمام الحسين بن علي في العُدوتين المغربية والأندلسية. جمع وتحقيق، الدكتور صفاء عبد الله برهان الغرباوي د.ط. د.م.: ديوان الوقف الشيعي، ٢٠١٧م.

القرطبي، ابي الله عبد محمد بن احمد بن ابي بكر. تفسير القرطبي (جامع لأحكام القرآن). د.ط. د.م.: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.

القسطلي، ابن دراج. ديوان ابن دراج القسطلي. حقَّقَهُ وقدّم له، وعلَّق عليه: محمود علي مكي. ط٢. الكويت: مؤسسة جائزة سعود البابطين، ٢٠٠٤م.

القيرواني، ابن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد. ط٢. القاهرة: د.د.ن.، ١٩٥٥م.

النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم. المستدرك على الصحيحين. د.ط. بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨م.

الهيب، احمد فوزي. شعر ابن جابر الاندلسي، محمّد بن أحمد بن علي الضرير. ط١. دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

الشنتريني، علي بن بسام. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة. تحقيق. احسان عباس. ط ١. تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٧٩م.

خلوصي، صفاء. فن التقطيع الشعري والقافية والقافية. ط٥. بغداد: منشورات مكتبة المثنى، ١٩٧٧م.

ابي عيسى، بن سورة. الجامع الصحيح، سنن الترمذي. تحقيق وتعليق. ابراهيم عطوة. ط٣. د.م.ن. ١٩٧٥م.

شهاب الدين، أحمد بن إدريس القرافي. الذخيرة. ط١. د.م.: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م.

صحيح الترمذي. بيروت: طبعة دار الكتاب العربي، د.ت.

علوان، علي عباس. تطور الشعر العربي الحديث في العراق - اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج. د.ط. بغداد: وزارة الاعلام، ١٩٧٥م.

عيسى، فوزي. ديوان ابن الجياب الغرناطي. ط١. القاهرة: مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٦م.

قارة، حياة. أبو العباس أحمد بن شكيل الأندلسي شاعر شريش. ط١. أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي، ١٩٩٨م.

مكي، محمود علي. التشيع في الأندلس. د.ط. د.م.ن.، د.ت.

References:

Holy Quran

Ibn al-Abbar, Muhammad bin ‘Abdullah bin Abi Bakr al-Quda’i al-Balansi. Diwan Ibn al-Abbar al-Quda’i. Tahqiq ‘Abd al-Salam al-Harras. T1. Al-Ribat: Wizarat al-Awqaf wa al-Shu’un al-Islamiyah, 1999 Ad.

Ibn Bassam, Abu al-Hasan ‘Ali. Al-Dhakhirah fi Mahasin Ahl al-Jazirah. Tahqiq Ihsan ‘Abbas. d.t. Bayrut: Dar al-Thaqafah, 1979 Ad.

Al-Amin, Hasan. Da’irat al-Ma’arif al-Islamiyah al-Shi’iyah. T1. Bayrut: Dar al-Ta’aruf, 1993 Ad.

Al-Bukhari, Muhammad bin Isma’il. Sahih al-Bukhari. T1. Dimashq: Dar Ibn Kathir, 2006 Ad.

Al-Tilimsani, Shihab al-Din Ahmad bin Muhammad al-Maqri. Azhar al-Riyad fi Akhbar al-Qadi ‘Iyad. Tahqiq Sa’id Ahmad; ‘Arrab wa Akharin. d.t. Al-Maghrib: Matba’at al-Muhammadiyah, 1980 Ad.

Al-Tha’alibi, Abu Mansur ‘Abdullah al-Naysaburi. Yatimat al-Dahr fi Mahasin Ahl al-’Asr. Sharh wa Tahqiq Mufid Muhammad Qamihah. T1. Bayrut: Dar al-Kutub al-’Ilmiyah, 1983 Ad.

Al-Dimashqi, Ibn Kathir. Al-Bidayah wa al-Nihayah. d.t. Bayrut: Dar Ihya’ al-Turath al-’Arabi, d.t.

Al-Shirazi, al-Sayyid Muhammad al-Husayni. Min Fiqh al-Zahra’. T1. d.m.: Matba’at Shari’ah, 1428 Ah.

Marathi al-Imam al-Husayn bin ‘Ali fi al-’Udwatayn al-Maghribiyah wa al-Andalusiyah. Jam’ wa Tahqiq, al-Duktur Safa’ ‘Abdullah Burhan al-Gharbawi d.t. d.m.: Diwan al-Waqf al-Shi’i, 2017 Ad.

Al-Qurtubi, Abu ‘Abdullah Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr. Tafsir al-Qurtubi (Jami’ li Ahkam al-Qur’an). d.t. d.m.: Dar al-Kutub al-’Arabi, 1967 Ad.

Al-Qustali, Ibn Diraj. Diwan Ibn Diraj al-Qustali. Haqqaqahu wa Qaddama lahu, wa ‘Allaqa ‘alayhi: Mahmud ‘Ali Makki. T2. Al-Kuwait: Mu’assasat Jaizat Sa’ud al-Babatin, 2004 Ad.

Al-Qayrawani, Ibn Rashiq. Al-’Umdah fi Mahasin al-Shi’r wa Adabihi wa Naqdihi. Tahqiq Muhammad Muhyi al-Din ‘Abd al-Hamid. T2. Al-Qahirah: d.d.n., 1955 Ad.

Al-Naysaburi, Abu ‘Abdullah Muhammad bin ‘Abdullah al-Hakim. Al-Mustadrak ‘ala al-Sahihayn. d.t. Bayrut: Dar al-Ma’rifah, 1998 Ad.

Al-Hayb, Ahmad Fawzi. Shi'r Ibn Jabir al-Andalusi, Muhammad bin Ahmad bin 'Ali al-Darir. T1. Dimashq: Dar Sa'd al-Din lil-Tiba'ah wa al-Nashr wa al-Tawzi', 2007 Ad.

Al-Shantarini, 'Ali bin Bassam. Al-Dhakhirah fi Mahasin Ahl al-Jazirah. Tahqiq Ihsan 'Abbas. T1. Tunis: Al-Dar al-'Arabiyah lil-Kitab, 1979 Ad.

Khalusi, Safa'. Fan al-Taqti' al-Shi'ri wa al-Qafiyah wa al-Qafiyah. T5. Baghdad: Manshurat Maktabat al-Muthanna, 1977 Ad.

Abi 'Isa, Ibn Surah. Al-Jami' al-Sahih, Sunan al-Tirmidhi. Tahqiq wa Ta'liq Ibrahim 'Atwah. T3. d.m.n. 1975 Ad.

Shihab al-Din, Ahmad bin Idris al-Qarafi. Al-Dhakhirah. T1. d.m.: Dar al-Gharb al-Islami, 1994 Ad.

Sahih al-Tirmidhi. Bayrut: Tab'at Dar al-Kitab al-'Arabi, d.t.

'Allawan, 'Ali 'Abbas. Tatawwur al-Shi'r al-'Arabi al-Hadith fi al-'Iraq - Ittjahat al-Ru'yah wa Jamaliyat al-Nasij. d.t. Baghdad: Wizarat al-I'lam, 1975m.

'Isa, Fawzi. Diwan Ibn al-Jayyab al-Gharnati. T1. Al-Qahirah: Maktabat al-Adab lil-Tiba'ah wa al-Nashr wa al-Tawzi', 2016 Ad.

Qarah, Hayat. Abu al-'Abbas Ahmad bin Shukail al-Andalusi Sha'ir Sharrish. T1. Abu Zabi: Manshurat al-Majma' al-Thaqafi, 1998 Ad.

Makki, Mahmud 'Ali. Al-Tashayyu' fi al-Andalus. d.t. d.m.n., d.t.